الفصل السابع

التّربيـــة النّفســـيّـــة

المبحث الأول : تعريف العاطفة .

المبحث الثانـــي : أهميّة التربية العاطفيّة .

المبحث الثالث : الصّحّة النّفسيّة و أسسها .

المطلب الأوّل : تعريف الصّحّة النفسيّة .

المطلب الثّاني : أسس الصّحّة النّفسيّة .

المبحث الرابع : و سائل التّربية النفسيّة .

المبحث الخامس : التّوازن في حبّ الطّفل .

obeikandi.com

المبحث الأوّل :

تعريـــــف العـــــاطفة

العاطفـة قوّة دافعة ، تدفع الإنسان إلى القيام بسلوك إيجابيّ أو سلبيّ إزاءَ أشياء ماديّة أو معـنويّة ، وتختلف من شخص إلى أخر من حيث موضُوعها وعددُها ونوعُها ودرجةُ قوّتها وصفتُها كما و يمكن تغييرها وتبديلها وتكوين عاطفة جديدة بطريقة تربويّة بوصفها قوّة مكتسبة .

ولـلعاطفة جانـبان : مظهـر المحـبّة ، ومظهر الكراهة [١]. بيدَ أنّ الحبّ والكره لا يظهر دون أسـباب ، و إنّمـا يحصـل وفق مسبّبات تثير نوازع الحبّ أو الكره . مع العلم أنّ هناك قسماً مـن العواطـف فطـريّة مثل عاطفة الأمّ تجاه أولادها ، وعاطفة الأبّ اتجاه أبنائه ، وعاطفة الأولاد تجاه آبائهم .

وهذه العاطفة الفطريّة تتأثر بطبيعة الآبـاء مع أولادهم سلباً وإيـجاباً ، صحة ومرضـاً .

وقد عرّف علماء النّفس العاطفة بقولهم هي : استعداد نفسيّ ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين نتيجةً لتكرار اتّصال الفرد بهذا الموضوع [٢].

من هذا يظهر أنّ العاطفة : تَوَجّهٌ نحو موضوع معيّن تسهم الخبرة في اكتسابه لحد كبير.

---

(١) خالد عبد الرحمن العك ، تربية البنين والبنات في ضوء القرآن والسنة ، ص ٢٢٥ .

(٢) أحمد عزة راجح ، أصول علم النفس ، ص ١٢٦ .

المبحث الثّاني :

أهميّة التّربية العاطفيّة

ويجب الاهتمام بتربية العواطف وتوجيهها وتنميتها على نحوٍ أفضل لأنّ أثر العاطفة يساوي أو يفوق أهمّ خاصيّة من الخصائص التي امتاز بها الإنسان على غيره من المخلوقات ألا وهي العقل . بل إنّ كثيراً من الأوقات تسيطر العواطف على العقل وتجعله خادماً لها .

لذا توجّبَ الاهتمام بها لما ذكرنا ، ولكونها تشكّل مساحةً واسعةً في نفس الطفل الناشئ كما أنّها تكونّ نفسه ، وتبني شخصيّته ، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في مستقبله بل في حياته كلها ، وإن أخذها بغير ذلك ، سواء بالزيادة أو النقصان ، تشكلت لديه عُقَد لا تحمد عقباها ، فالزّيادة تجعله مدلاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط ، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً مع كلّ مَن حوله [1].

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية ، ص ٣١٠ .

obeikandl.com

المبحث الثّالث :

الصحّة النّفسيّة ، و أسسها

ونظراً لأثر التّربية النفسيّة الخاطئ أو الصحيح على الأطفال نشأت علوم حديثة منها علم نفس الطفل ، واهتمّ بالصّحّة النفسيّة وكيفية تنميتها .

المطلب الأوّل : تعريف الصحة النفسية

عُرِّفت الصّحّة النفسيّة بأنّها : التّوافق التّام أو التّكامل بين الوظائف النفسيّة المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسيّة العاديّة الّتي تطرأ عادةً على الإنسان ، مع الإحساس الإيماني بالسعادة والكفاية [١].

من هذا يظهر أنّ الغرض من الاتّجاه العام للصّحّة النفسيّة هو الاهتمام بالاضّطرابات النّفسيّة والتّخلّف العقلي وغيرها من الاضّطرابات ، و من ثمّ الإشراف على علاجها والوقوف إلى جانب المصابين بها بأساليب علميّة إنسانيّة مدروسة ، ثم مساعدة مَن تتحسن أحواله باستعادة التكيّف مع بيئاتهم .

ومن أهم جوانب الصّحّة النّفسيّة الجانب الوقائي الّذي يعمل على قطع الطّريق على الأمراض النّفسيّة ، و يمنع الاضّطرابات النّفسيّة من الوقوع [٢].

---

(١) عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية ، ص ٦ .

(٢) سهام جبار ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ص ٤٥٤ .

المطلب الثّاني : أسس الصّحّة النّفسيّة

ومما تقدّم نصل للقول : مادام البناء العاطفي النّفسيّ مهمّاً فكيف تعامل الإسلام مع هذا الموضوع؟ أو بتعبير آخر : ما هي الأسس الّتي أرساها الإسلام للمحافظة على استقامة الصحة النفسية ؟

إن الناظر في النصوص الإسلامية يجد أن هناك عدّة أسس اعتمدها الإسلام في ذلك :

الأساس الأول : الرّفق في معاملة الأطفال . ويتمثّل بالآتي :

١ ـ الرّأفة والعطف والرّحمة .

٢ ـ إدخال السّرور والفرح في قلوب الأطفال .

٣ ـ اللّعب والهدايا والعطايا للأطفال ، وبناء الثّقة في نفس الطفل .

إنّ الإسلام يشبع حاجة الطّفل إلى الحبّ بوسائل من الرّأفة والرّحمة والعطف ، وهذا يمكن أن يتجلّى بأسلوب الرّفق واللّين وخفض الجناح . وقد ضرب المربّي الأوّل سيدنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى للرّفق في تربية الأطفال ، وعلاج أخطائهم بروح الشفقة ، ولم يقرّ الرّسول ﷺ أسلوب الشدّة والعنف في معاملة الأطفال ، بل ندّد بالجفاء والقسوة ، واعتبر ذلك دليلاً على فقدان الرّحمة من ذلك القلب القاسي متوعّداً مهدّداً القلوب الخالية من الرّحمة بعدم بلوغها رحمة الله جزاءً وفاقاً على ما فرّغوا قلوبهم من الرّحمة في الدنيا ، و لذا قال ﷺ للأقرع بن حابس حين رأى الأقرع رسولَ الله ﷺ يقبّل الحسن فقال الأقرع : لي عشرة من الولد ما قبّلْتُ واحداً منهم . فقال له النّبيّ ﷺ : « إنّه مَن لا يرحم لا يرُحُم » [١].

وقد حدد الرسول ﷺ الرّفق قانوناً لازماً في كلّ شيء فقال : « إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا ينزع من شيء إلاّ شانه » [٢].

---

(١) أخرجه مسلم في باب رحمته ﷺ .

(٢) أخرجه مسلم في باب فضل الرفق .

و روي عن أسامة بن زيد ﷺ قوله : ((كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه و يقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما و يقول : ((اللّهمّ ارحمهما فإني أرحمهما)) [١].

وتظهر في حياة الطّفل الواقعية حاجتُه إلى العواطف عندما يطلب أحياناً من أبويه أن يقبّلاه ، ويطمع في ردّ القبلات ، وقد يحتجّ الطّفل لماذا قبّلنا أخاه ولم نقبّله ((ولذا نراه يتدلّل على أبويه وذويه ويقبّلهم قبلاتٍ حارّة كلّما تيسّر له ذلك)) [٢].

ومن صور شدّة الرّحمة لدى الأمّهات ما أخبرنا به رسول الله ﷺ من هذه الصورة العجيبة الّتي لها دلالاتٌ على تفجّر الرّحمة من قلب الأمّ على طفلها . ألا ليت كلّ أم تغدقُ بمثل هذه الرّحمة على وليدها [٣]. فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : ((بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، إذ جاء الذّئب فأخذ الابنين ، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقُّه بينكما ، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنُها لا تشقّه ، فقضى به للصغرى)) .[٤]

وصدق الله العظيم الّذي أخبر عن سليمان : ﴿ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ .[٥]

و نلاحظ قسوة قلب الأمّ الكبرى في هذه القصّة ، فلقد سرق الذّئب ابنَها ولم تُظهرْ حزنَها ، بل أظهرت قسوةً لا يتصورها عقل رجل ، فضلاً عن قلب امرأة فلجأت إلى سرقة ابن زميلتها ، لأنّه لا يُعقل أن يكونا متشابهين تشابهاً تامّاً ، كما لا يعُقل أن لا تميّزَ الأمُّ ابنَها من بين طفلين . فالحديث دلّ على قسوة قلب الأمّ الكبرى ، ورحمة قلب الأمّ الصغرى [٦].

---

(١) أخرجه البخاري باب وضع الصبي على الفخذ .

(٢) جورج شهلا وآخرون : الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ص ٢٤٢ .

(٣) محمد نور عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٣١٢ .

(٤) أخرجه أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما . وأحمد والنسائي .

(٥) سورة : ص ، الآية : ٢٠ .

(٦) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٣١٢ .

الأساس الثّاني : المداعبة و الممازحة لإدخال الفرح إلى قلوب الأطفال

فما أكثر الأحاديث الشّريفة ، و القصص النّبويّة مع الأطفال ، مداعبةً مرّة بالرّكض و مرّة بالحمل ، و مرّة بتصغير الاسم ، و تارة بالمضاحكة .

و لا شكّ بأننا مطالبون بهذه الأعمال التّربويّة حبّاً بالأولاد و تربيةً لهم ، و اقتداءً برسول الله ﷺ . فقد روي عن جابر ﷺ أنه قال : ((كنّا مع رسول الله ﷺ فدُعينا إلى طعام . فإذا الحسين يلعب في الطّريق مع صبيان ، فأسرع النّبيّ ﷺ مع القوم ، ثمّ بسط يده فجعل يفرّهما هنا و هناك فيضاحكه رسول الله ﷺ حتّى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه و الأخرى بين رأسه و أذنيه ، ثمّ اعتنقه و قبّله ، ثمّ قال : ((حسين منّي ، و أنا منه ، أحبّ الله مَن أحبّه . الحسن و الحسين سبطان من الأسباط)) [١].

ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: ((سمعت أُذناي هاتان ، وبصرت عيناي هاتان ، قد أخذ رسول الله ﷺ بيديه جميعاً بكفيّ الحسن أو الحسين وقدماه على قدم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول : ((ارقه)) فرقى الغلام حتّى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ : ((افتح فاك)) ثم قبّلَهُ ، ثمّ قال : ((اللهمّ أحبَّهُ ، فإني أحبُّهُ)) .

و جاء في الإصابة وزاد : ((حزقة ، حزقة ، تَرقَّ عين بقّة)). و جاء في النّهاية أنّه ﷺ كان يرقِصُ الحسن أو الحسين و يقول : ((حزقة ، حزقة ، ترق عين بقّة)) فيرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره [٢].

(الحزقة) الضعيف المتقارب الخطو من ضعفه . وقيل : القصير العظيم البطن ، فذكرها على سبيل المداعبة و التّأنيس له . و (ترق) بمعنى اصعد .

و (عين بقة) كناية عن صغر العين [٣].

---

(١) أخرجه الطبراني و البخاري و الترمذي . و السّبط هو ولد البنت . و الحفيد هو ولد الابن .

(٢) أخرجه البخاري و الطبراني .

(٣) عبد الله سراج الدين ، سيدنا محمد رسول الله ص ١٥٧ .

و كـذا وردعـن أنس ﷺ أنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن النّاس خلقاً ، وكان لي أخ يقـال له : أبـو عمير ـ وهو فطيم ـ وكان إذا جاءنا ، قال : ((يا أبا عُمير ما فعل النُّغَير ؟)) لنغر كان يلعب به [١].

و عـن أنـس ﷺ أيضـاً أنّ الـنّبيّ ﷺ كان يدخل على أمّ سليم ، ولها ابن من أبي طلحة يكـنّى أبـا عمير ، وكان يمازحه ، فدخل عليه فرآه حزيناً فقال : ((مالي أرى أبا عمير حزيناً)) فقالوا : مات نغره الّذي كان يلعب به ، قال فجعل يقول : ((أبا عمير ما فعل النغير ؟!)) [٢].

وتقـدّم قـول الحـافظ ابـن حجر في الفتح : أنّ هذا الحديث فيه جواز المازحة ، وتكرير المـزاح . و أنّهـا إباحة سنة لا رخصة ، وأنّ ممازحة الصبيّ الّذي لم يميز جائزة ، و تكرير زيادة المـزوح معه . وفيه ترك التكبّر والتّرفّع . و فرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر ، أو في البيت فيمزح [٣].

كمـا ورد عـن عـبد الله بـن شـداد قـال : بيـنما رسـول الله ﷺ يصلّي بالنّاس : إذ جاءَه الحســين فركب عنقه ، وهو ساجد ، فأطال السّجود بالنّاس : حتى ظنّوا أنّه قد حدث أمر، فلمّا قضى صلاتَه قالوا : قد أطلت السّجود يا رسول الله حتى ظننّا أنّه قد حدث أمر فقال:((إنّ ابني قـ ارتحلني فكرهت أن أعجلَهُ حتى يقضيَ حاجتَهُ)) [٤] .

و لـذا فقـد ((و سـارع الصّحابة اقتداءً بالهدي النبوي إلى ممازحة أولادهم ، وإلى النّزول إلى منازلهم والتّصابي معهم ، وملاعبتهم)) [٥].

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده .

(٣) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٣١٤ .

(٤) قال العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه النّسائي ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٥) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٣١٥ .

ونظراً لأهميّة الرّحمة في قلوب المربّين فقد عزل عمر بن الخطاب ﷺ أحد ولاته عن الرئاسة لأنّه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوةِ قلبه تجاه أولاده .

فعن محمد بن سلام قال : ((استعمل عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً على عمل ، فرأى الرجلُ عمرَ يقبّل صبيّاً له فقال الرجل : تقبّلُهُ وأنت أمير المؤمنين ؟! لو كنتُ أنا ما فعلتُه . قال عمر : فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرّحمة إنّ الله لا يرحم من عباده إلا الرّحماء)) . ونزعه عن عمله و قال : ((أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس)) [١].

الأساس الثّالث : الهدايا والعطايا للأطفال

الهدايا عطاء متبادل بين النّاس ، تهواه النّفوس عموماً لما فيه من الأثر النّفسي الطيّب . والأطفال أكثر تأثّراً بهذا ، و كثيراً ما نرى بعض الأطفال يحبّون بعض النّاس لأنّهم اعتادوا أن يعطوهم بعض الحلوى أو غير ذلك .

و لذا فقد سنّ النّبيّ ﷺ قاعدةً مباركة فيها نصحٌ عظيم للأمّة وهي قوله : ((تهادوا تحابّوا)) [٢]. ومن جانب آخر فقد علّمنا رسول الله ﷺ عملياً كيف تؤثّر الهديّة في نفس الطّفل فقد روى أبو هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ كان يؤتى بأوّل الثّمر فيقول:((اللهمّ بارك لنا في مدينتنا ، وفي ثمارنا ، وفي مُدّنا ، وفي صاعنا ، بركة مع بركة)) [٣]. ثمّ يعطيه أصغر مَن يحضرُه من الولدان .

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت : قُدِّمت هدايا من النّجاشي فيها خاتم من ذهب فيه فصّ حبشي ، فأخذه رسول الله ﷺ بعود أو ببعض أصابعه معرضاً عنه ، ثمّ دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال : ((تحلّي بهذا يا بُنيَة)) [٤].

---

(١) كنز العمال ١٦ / ٥٨٣ رواه الدينوري .

(٢) أخرجه الطّبراني في الأوسط .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) صحيح رواه النسائي و أبو داود وانظر صحيح الجامع رقم (٤٩٤٧) .

الأساس الرّابع : مسح رأس الطفل

ظهر قبل قليل كيف أنّ رسول الله ﷺ داعب الأطفال بأساليب متعددة ، إدخالاً للسرور مرّة ، وشفقةً مرة أخرى . أما مسحه رؤوس الأطفال فهذا مظهر من مظاهر الإشفاق . فقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار وهو ابن أربع عشرة [١].

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي ـ قال : أظنّه قال ثلاثاً ـ فلمّا مسح قال : ((اللهم ا خلف جعفراً في ولده)) [٢].

ويضيف رسول الله ﷺ إلى مسح رأس الطفل مسح خدّيه بيديه الشريفتين تعبيراً عن حبّه ورعايته وحرصه على إدخال السّرور في قلب الطّفل فقد روي عن جابر بن سمرة ـ وهو من أطفال الصحابة ـ قال : صلّيتُ مع رسول الله ﷺ الصّلاة الأولى ـ يعني صلاة الظهر ـ ثمّ خرج إلى أهله وخرجتُ معه فاستقبله ولدان ـ صبيان ـ فجعل ﷺ يمسح خدي أحدهم ، واحداً ، واحداً ، قال جابر : وأمّا أنا فمسح خدي فوجدتُ ليده برداً أو ريحاً ، كأنّما أخرجها من جؤنة [٣]عطار [٤].

والاستدلال من هذا ظاهر من أنّ رسول الله ﷺ عندما يمسح على خدود الأطفال كلّهم إذا كانوا كُثراً أو أكثر من واحد . فهذا يشير إلى عدله ﷺ في معاملتهم جميعاً وحرصه على إيجاد مشاعر السّرور والاطمئنان داخل نفوسهم ، و عدم خدش مشاعر الأطفال في ملاعبتهم وفي المسح على رؤوسهم وخدودهم وتوزيع ابتساماته الكريمة على عيونهم ((ولأنّ تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء و القطيعة))[٥] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٠٧٩ و كذا ابن حبان في زوائده .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، رقم ١٦٦٨ .

(٣) جونه : الأداة تشبه الصندوق الصغير يضع فيه العطار عطرَه .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) ابن قدامة المقدسي : المغني ، ج٦ / ص ٥٢ .

فعن ابن عباس ﷺ أنه قال : ((سووا بين أولادكم في العطيّة ، فلو كنت مفضّلاً أحداً لفضلتُ النساء)) .[١] ولأنّ تفضيل بعضهم يثير البغضاء في نفوسهم ، فتظهرُ العقد والأنانية .

كذلك فإنّ للعدل والمساواة بين الأطفال آثار طيّبة . فهو يزرع الحبّ والمودّة ، ويوثّق عرى الأخوّة والتّآلف والتّعاطف بينهم ، وتوحّد نظرتهم تجاه والديهم فتجعلها نظرة مفعمة بالإجلال والحبّ والتّقدير ، كما أنّ هذا العدل يدفعهم إلى المسارعة في إرضائهما وبرّهما .

عن النعمان بن البشير ﷺ أنّ أباه أتى به رسولَ الله ﷺ فقال : إنّي نحلت ـ أعطيت ـ ابني هذا غلاماً كان لي . فقال رسول الله ﷺ : « أكل ولدك نحلتُه مثل هذا ؟ » فقال : لا . فقال رسول الله :ﷺ : « لا تشهدني على جور » ثمّ قال ﷺ : « أيسرُّك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ » قال : بلى . قال رسول الله : « فلا إذاً » [٢].

أما تخصيص أحد الأولاد بأعطية لسبب وجيه كانشغاله بالعلم أو كثرة العيال أو مرض فلا بأس به [٣].

الأساس الخامس : بناء الإسلام الثقة داخل نفس الطفل

عندما يفقد الفرد الثّقة بنفسه ، وتفقد الأمّة الثّقة بنفسها يفقد الفرد مبررات وجوده و يأكله الضّعف من داخله ، كما أنّ الأمة تأخذ طريقها مسرعة نحو الذوبان والانهيار .

في حين أنّ الفرد الواثق بنفسه المعتزّ بأهدافه يعيش عزيز النّفس ، متوازن النّظرة والموقف تجاه مصاعب الحياة ، وكذلك الأمّة الواثقة تراها متميّزة الشخصية مؤثّرة في العالم تعطيه من خصائصها الإنسانية وتترك بصماتها عليه على نحو ما فعلته أمّتنا عبر التّاريخ المجيد لها .

من هنا حرص الرسول ﷺ على تنمية الثّقة بنفس الطّفل من خلال عدد من الطرق منها :

١ ـ إشعار الطفل بقيمته الذاتية .

---

(١) ابن حجر فتح الباري ، ج٥ / ص ١٦١ .

(٢) أخرجه مسلم باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة .

(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٦ / ص ٥٣ .

٢ ـ احترام شخصيته .

٣ ـ المدح والثناء عليه .

٤ ـ الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب .

٥ ـ تحيين الوقت المناسب للتوجيه .

٦ ـ الترغيب والترهيب .

أ ـ الشعور بالقيمة الذّاتيّة : يقول فاخر عاقل : ((الحاجة إلى تقدير الذّات أو الشّعور بالقيمة الذّاتية كما يسمى أحياناً بما في ذلك الشّعور بالحاجة إلى تجنب الشّعور بالحطّة هي فيما نعتقد أقوى الحاجات السيكولوجيّة ، وهي في الواقع موجودة في أساس كلّ سلوك بشري وبشكل يفوق أيّة حاجة أخرى ، وذلك طبعاً باستثناء الحاجات الفيزيولوجية)) [1].

ب ـ احترام شخصية الطفل : إنّ مباشرة الطّفل بالسلام إعلاءٌ من شأنه ، و إبرازه على أنّه كائن ذو أهمية . وظنّي أنّ الأحاديث الكثيرة في مباشرة الرسول ﷺ الصّبيان بالسّلام ،و إفراد العلماء الأبواب الخاصّة بالسّلام على الصبيان إشعار واضح يدفع نحو احترام شخصيّة الطّفل اليوم كي ينشأ متوازناً قويّاً سوياً شابّاً فاعلاً فعلاً طيّباً في غدِ الأمّة القادم بإذن الله .

ج ـ المدح والثناء : فالطّفل في بدء نموه يفعل الفِعلة وينتظر ردّة فعل والديه أو معلّمه أو مربّيه اتّجاه عمله ، فإذا باركوا عمله وأثنوا عليه تولّدَت الرّاحة والسرور في قلبه وفاضت الفرحة جميع أنحاء جسمه ، وهذا يدلّ على مدى أهميّة رأي الآخرين ومواقفهم عند الطفل . والحقّ أنّه لولا شعور الإنسان الفطري بمدى أهمية رأي الآخرين منه لما تقوّتْ روابطه الاجتماعية ، لذا فإنّ المدرسة عندما تمنح تلميذاً صغيراً وساماً ، أو تقديراً مكتوباً على قطعة ورق فإنّ الطّفل يدخل بيت الوالدين تعلوه البسمة ، مزهواً بفعله وتفوّقه لأنّه حظي برضا المدرسة ، وكلّه ثقة بحيازته على رضا الوالدين وأخوته في البيت أيضاً .

---

(١) فاخر عاقل ، علم النفس التربوي : ص ٣٩٦ .

ولقد مدح رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر فيما رواه عنه قال : ((كان الرّجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ فتمنّيت أن أرى رؤية أقصّها على رسول الله ﷺ . وكنت غلاماً شابّاً ، وكنتُ أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النّوم كأن ملكين أخذا بي فذهبا بي إلى النّار فإذا هي مطويّة كطيّ البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قال : فلقيَنا ملك آخر فقال لي: لم تُرَع . فقصصتها على حفصة . فقصّتها حفصة على رسول لله ﷺ فقال :((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي في الليل)) فكان بعد لا ينام في الليل إلا قليلاً [١].

٤ ـ ترك كثرة الّلوم والعتاب : إنّ المواجهة المباشرة لحلّ ارتكاب الخطأ ليس علاجاً صحيحاً ، و كذلك تركه دون مواجهة أو عتاب ليس إجراءً سليماً ، إنّما يجب توجيه اللّوم بطريقة مهذّبة أو بطريقة خفيفة . فقد قال أحدهم : ((يستحبُّ للعالم إذا علّم ألاّ يعنّف ، وإذا عُلّم ألا يأنف)) [٢].

و قد حدّثتنا الوقائع أنّ سيّد المربّين رسول الله ﷺ ما كان ليكثر اللّوم والعتاب على الأطفال ، ولم يلجأ إلى الزّجر والتّأنيب ، فعن أنس ﷺ قال : ((خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط لم فعلت كذا وكذا ، ولا عيّب عليّ شيئاً قط ...)) [٣]. إنّما إذا بدر من الطّفل عملٌ فيه خطأ يقتضي التّنبيه أو الزّجر فإنّ رسول الله ﷺ كان يتحيّن الفرصة المناسبة و الوقت المناسب للتنبيه . و قد نقلت لنا كتب السّيرة بعض الوقائع المشيرة إلى_ذلك . منها :

أ ـ وقت الطعام :

كان رسول الله ﷺ يأكل مع الأطفال ، وقد يلاحظ على أساليب أكلهم مالا يقبل ، أو يشاهد بعض الخلل في طريقة تناولهم للطّعام ، فكان ﷺ يتحرّى تقديم الأسلوب الأمثل في

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم و الترمذي و أحمد و الدارمي .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٢ / ص ١٢٢ .

(٣) أخرجه مسلم و أحمد و الدارمي .

تقويم اعوجاج الطّفل في هذا المجال مما يجعل الطّفل أشدّ قبولاً وأكثر سروراً في استقبال توجيه رسول الله ﷺ له . فقد قال عمر بن أبي سلمة ﷺ : كنت غلاماً في حِجر النبيّ ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سمّ الله تعالى ، و كُل بيمينك ، وكل مما يليك » [١].

ب ـ أثناء النزهة في الطريق :

إنّ حديث ابن عباس ﷺ قال : كنت خلف النبيّ ﷺ يوماً فقال : « يا غلام ... احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجد تجاهك ... » [٢] يدلّ على أنّ هذه التّوجيهات النّبويّة كانت في الطريق وهما يسيران إما مشياً على الأقدام ، أو يسيران على الدّابة ، ولم تكن هذه التّوجيهات في غرفة محدودة و إنّما في الهواء الطلق حيث نفس الطفل أشدّ استعداداً للتّلقّي وأقدر على قبول النصائح والتوجيهات [٣].

ج ـ وقت مرض الطفل :

المرض يرهق قلوب الكبار القاسية ، ويهذّب من طباعهم الجافية ، فما بالك بقلوب الأطفال اللّينة ، وطباعهم الرّقيقة .

فوقت المرض تشعر النّفوس بضعفها ، وتُظهر حاجتها لمن يعينها ، لذا فإنّها سرعان ما تستجيب لنادي الإصلاح ، وصائح الخير .

فعن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبيّ ﷺ فمرض ، فأتاه النبيّ يعودُه فقعد عند رأسه فقال له : « أسلمْ » فنظر إلى أبيه وهو عنده ؟ فقال : أطِعْ أبا القاسم . فأسلم فخرج النبيّ ﷺ وهو يقول : « الحمد الله الذي أنقذه من النار » [٤].

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم و ابن ماجة و أحمد .

(٢) أخرجه التّرمذي .

(٣) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص٦١ ـ ٦٢ .

(٤) أخرجه البخاري .

عناية الإسلام المثلى بالبنت واليتيم

كـنّا قـد أشـرنا قبل قليل أنّ الإسلام اهتمّ ببناء العاطفة اهتماماً كبيراً مستخدماً عدّة سُبل منها الرّأفة والرّحمة بالطفل . نعم غير أنّ الإسلام أولى البنت واليتيم اهتماماً خاصّاً .

فإنّـه قـد شـدَّد عـلى العناية بالبنت لأنّها ضعيفة من جانب ، ولأنّها ستكون سيّدة بيت وأم أولاد مـربّية مـن جـانب آخـر ،لـذا لابدّ من دفع الحيف الّذي أنزِل بها يوماً ما ، ولا بدّ من رفع الظلم و الشّين الذي ألصقوه بها .

أمـا اليتيم فإنّ مصاعب الحياة شديدة ، ومواجهة ضغوط الحياة أمر بالغ الصعوبة ، ولقد يغيّـبُ المـوت الأبويـن أو أحدهمـا فـتفقد الأسـرة ركنيها أو أحدهما لذا فإنّ الإسلام قد حضّ على الاهـتمام بأولـئك الأيـتام الّذيـن فقـدوا الـرّحمة والشّـفقة ، فاهـتمّ الإسلام بهم وطلب أن نعوّضهم الشّفقة المفقودة ، وأن نغدق عليهم من الرّحمة والحبّ والعطف ما يجعلهم مُصاني الكرامة .

آ ـ رعاية البنت وتربيتها :

مـا تحدّثـنا بـه حـول تـربية الولد يشمل تربية البنت أيضاً لأنّ الولد اسم جنس يستغرق الذكر والأنثى ، وإفرادُنا البنتَ الأنثى بهذه الفقرة الخاصّة يعود لأهمية البنت .

فالفـتاة مكـلّفة بالأحكـام الشـرعية مـثل الرجل عدا بعض الأمور الخاصّة بالنّساء ، و لذا تـربّى على العلم والمعرفة لاستكمال شخصيتها كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وكما قال رسول الله ﷺ في حديثه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[1].

وكم تُرتكب من الأخطاء في حقّ هذه المسكينة عندما تُركت فريسةً للجهل ، مطيّةً للغباوة في الوقـت الّـذي كـانت صـحابيات رسول الله ﷺ تطلبن من رسول ﷺ ساعة خاصّة بهن يتعلمن منه ويعرِضْن عَليه مشاكلهنّ قائلات للنبي ﷺ : فاجعل لنا يوماً من نفسك .

---

(١) أخرجه ابن ماجة .

كمـــا ينـبغي الإشـارة إلى أنه لم تكن صحابيات رسول الله ﷺ قعيدات البيت دائماً بل خَـرجْنَ في سـاحات الجهـاد أكـثر مـن مـرة مسـاهمات في القـتال حيناً ، وتقديم السّقاية والعلاج أحياناً آخر .

غـير أنّ البـنت كـي تقوم بهذه المهام الجسام لابدّ لنا من اتّباع القواعد الأساسية التّربوية التّالية :

١ ـ لا كراهية للبنت في مجتمع الإسلام

بعـــض الديانـات المـنحرفة رأت في المـرأة السّـوء العظيم ، والشّر المسـتطير . و العرب في الجاهـلية جعـلوها موروثـاً ، حتّى جاء الإسلام الذي أعلى شأنها ، ورفع قدرها فقد قال تعالى في كـتابه العزيـز : ﴿ وَلَهُـــنَّ مِـثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .[1] و قال أحدهم : ((وحكمة الله و قاعدة الحياة اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ، ذكر وأنثى ، فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصـالة الذكـر ، بل ربّما كانت أشدّ أصالةً لأنّها المستقَر ، فكيف يغتم مَن يُبَشَّرُ بالأنثى ، و كيف يتوارى من القوم من سوءِ ما بُشِّر به . ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجيـن دائمـاً)) ثـمّ تابع فقال : ((فالأنثى لا يُرحَبُ بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس ، ولا تُعـامل معاملـة الذّكَـر مـن العناية والاحترام ، وهذه وثنية جاهلية في إحدى صوَرِها ، نشأت من الانحراف الّذي أصاب العقيدة الإسلامية))[2].

٢ ـ المساواة بين الذكر والأنثى

كـثيرون هـم المـتحيّزون لصـالح الذّكـر ، المفضّـلون إيّـاه بالعطايـا الماديّة و القُبَل العاطفية و الكلمة اللّينة مقابل النّظرة الجّافية والكلمة القاسية للأنثى . وهذا لعمرُ الحق الغايةُ في الجور .

---

(١) سورة : البقرة ، الآية : ٢٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٤ / ص ٢١٧٨ .

لـذا فـإنّ الرّسـول ﷺ حـضّ على تربية البنات ورتّب أجراً أخروياً عظيماً لَمن أحسن لهن تربيةً و رعايةً . فقد روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن كانت له ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهنّ واتّقى الله فيهنّ فله الجنّة » [١].

ب ـ رعاية اليتيم :

إنّ الولـد الّـذي يفقـد أباه أو أبويه يواجه مشاكل كثيرة من فقدان المعيل و طمع الأوصياء وجشـعهم . و قد ظهر ذلك في آيات كثيرة ﴿ قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢].

وقـد حـثّت الأحـاديث النّـبوية عـلى حسن رعايتهم ، فعن النّبيّ ﷺ قال :« أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة » . وأشار إلى إصبعيه السبّابة والوسطى [٣].

و السّؤال : إذا ترك الأب أو الأم أولاداً ذريّةً ضعافاً صغاراً في ذمّة المجتمع كيف يتعامل معهم ؟ هل تركهم الإسلام أم أنّه وضع أصولاً وضوابط تضبط ذلك ؟

١ ـ إنّ الإسلام عظّم أجر المحسـنين لهؤلاء الأيتام بالمال و العاطفة وقد أشرنا إلى الحديث النّـبوي الشّـريف الّـذي فيه دليل مجاورة كافل اليتيم للنّبيّ ﷺ في الجنة حيث قال ﷺ : « وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً » [٤].

٢ ـ صيانة أموالهُ ومصالحه : فقد جاءت الآيـات القرآنية الكريـمة موصية بالحرص على مـال اليـتيم وصـيانة مصالحة من العبث والهوى والطّيش فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [٥] .

---

(١) أخرجه أبو داود و الترمذي .

(٢) سورة : البقرة ، الآية : ٢٢٠ .

(٣) أخرجه التّرمذي .

(٤) أخرجه البخاري و مسلم و أبو داود و أحمد و مالك .

(٥) سورة : النّساء ، الآية : ١٠ .

كما أوصى الله سبحانه بجلب المصلحة لهم و دفع الشّر عنهم في قوله : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

و وضّح القرآن أنّ نماء مال اليتيم وما ينتج عنه هو لليتيم حيث قال: ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا ﴾ (٢).

(١) سورة : الأنعام ، الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة : النّساء ، الآية : ٥ .

obeikandl.com

المبحث الرّابع :

من وسائل التربية العاطفية النفسية

١ ـ تشجيع الأطفال وزرع التّنافس البنّاء بينهم ومكافأة الفائز :

لّما كان الطّفل محتاجاً إلى القيام بأعمال محدّدة ومناسبة لإمكاناته فقد لزمَ أن يشجّع الكبارُ الصغارُ ، و في هذا يقول ابن الحاج العبدري ((مهما ظهر من الصبي خلقٌ جميل وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه ، يما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس))[١] .

٢ ـ المنافسة والمسابقة :

حيث يرى علماء النّفس أنّ المنافسة غريزة من الغرائز ، وهي باعثٌ نفسيّ يدفع الشخص إلى العمل ليساويَ غيره أو يفوقه . و ويقولون : ((إنّ تسعة أعشار العمل في العالم تعمل بوساطتها)) .

كما أنّه يمكن أن نستثير الطفل المقصّر في دراسته عن طريق إثارة التّنافس في داخله ((فمن المحقّق أنّ الأطفال الّذين لا يبذلون الجهد اللازم لتعلُّمهم يمكن استثارتهم بالمنافسة و المسابقة لأنْ يبذلوا نشاطاً كبيراً فالاهتمام بالمنافسة قد يؤدي أوّلاً إلى أن يتعلّم الفرد كيف يتنافس))[٢].

وقد ضرب الرّسول ﷺ الأمثلة العمليّة إذ طرح سؤالاً على بعض أصحابه وكان من الحاضرين عبد الله بن عمر ﷺ وكان أصغر القوم . فقد روى ابن عمر ﷺ فقال : قال رسول الله ﷺ : ((إنّ من شجر البوادي شجرةٌ لا يسقط ورقها وإنّها مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟))

---

(١) ابن الحاج العبدري ، مدخل الشرع الشريف ، ج٤ / ص ٢٩٦ .

(٢) مهدي عبيد ، التربية النفسية للأطفال ، ص ٧٤ .

فوقع النّاس في شجر البوادي ، قال عبد الله : فوقع في نفسي أنّها النّخلة ، ثمّ حدّثنا رسول الله ﷺ فقال : ((هي النخلة))[١].

لقد نافس الطّفل ابنُ عمر الكبارَ في المعرفة إلا أنّه لم يُجِبْ لأنّه التزم بالأدب وجعل الجواب لَمن هم أكبر سناً [٢].

وتبيّن لنا سيرة الحبيب الأعظم ﷺ أنّه كان يثير روح التّنافس النّافع في الأعمال الهادفة لا سيّما الرّياضة المقوّية للأجسام ، فقد ورد عن عبد الله بن الحارث ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصُفُّ عبدَ الله وعبيدَ الله وكثيراً من بني العبّاس رضي الله عنهم ثمّ يقول : ((مَن سبق إليَّ فله كذا وكذا)) فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبّلهم ويلتزمهم)) [٣].

وما من شكّ أن الإطراء وإذكاء روح التّنافس والمديح من العوامل المساعدة على الاندفاع اتّجاه الأعمال الحسنة ، وهذا ما نشعر به كباراً أو صغاراً ، فليست المكافأة إلا إحساساً من الفاعل بحاجته إلى تثمين ما أنجز له الغير والاعتراف بجهوده وإنجازاته . وما قول رسول الله ﷺ : ((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقُهُ)) .[٤] إلاّ إدراكاً من المربّي الأوّل المُسدّد بالوحي لأهمية دفع الأجر فوراً لما فيه من دفعٍ للعامل إلى العطاء والإنجاز والإتقان والاهتمام ، لذلك فإذا ما منحنا أحد الأطفال جائزة فإننا نرى أطفالاً آخرين يندفعون لإنجاز عمل آخر منافس لنيل الجائزة ، وهكذا تتوالد البواعث والدّوافع للعطاء والتّقديم من خلال المكافأة والتّشجيع .

---

(١) أخرجه البخاري . و انظر سهام مهدي جبار ، الطفل في الشريعة ص ٤٨٣ .

(٢) و انظر سهام مهدي جبار ، الطفل في الشريعة ص ٤٨٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند .

(٤) أخرجه ابن ماجة ، رقم ٢٤٣٤ .

٣ ـ الابتعاد عن القسوة واتباع اللين واللطف في معاملة الأطفال :

إذ اللّين و الرّحمة وسيلة نافعة من أجل تكوين البناء العاطفي والنفسي ، و قد أكّد علماء التّربية النّفسية على ضرورة الابتعاد عن العنف والقسوة ، لأنّ ذلك يؤدّي إلى إذلال نفسيّة الأطفال و تحطيم شخصيتهم .

وهذا ابن سينا يكشف عن رأيه في العقاب والعقوبة فيقول : ((أما إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب فينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر ، فلا يؤخذ الوليدُ أوّلاً بالعنف وإنما بالتّلطف ثمّ تمزج الرغبة بالرهبة ، فتارة يستخدم العبوس ، أو ما يستدعيه التأنيب ، وتارة يكون المديح والتّشجيع أجدى من التّأنيب ، ولكن إذا أصبح من الضروري اللّجوء إلى الضّرب فينبغي ألاّ يتردّد المربّي على أن تكون الضّربات الأولى موجعة ... ولكنَّ الالتجاء إلى الضّرب لا يكون إلا بعد التهديد والوعيد وتوسّط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل)) وجميل قول القائل :

اضرب وليدك تأديباً على رشد و لا تقُلْ هو طفل غير متعلم

فربَّ ضربٍ يؤدّي التّرك منك له إلى الجراح لدى رشد وفيض كرم

لا يمكن منع العقاب دائماً

تذهب التّربية المعاصرة في أحدث نظريّاتها إلى الاقتصار في تقويم الطّفل على عنصر الثّواب وحده واستبعاد العقوبة من عملية التّربية ، فراراً بالصبيّ من العقد النّفسيّة [١].

هذه هي وجهة نظر التّربية الحديثة . فهل حقّقت هذه الأساليب الحديثة غاياتِها ؟

بالطّبع لا . و أكبر دليل على ذلك هو الواقع الشاهد بالأدلة والأرقام و الوقائع الّتي تصف لنا العالم الأوربيّ والأمريكيّ أو بمعنى أصحّ العالم الغربيّ الّذي ولدت الأصول التّربوية الحديثة فيه ، ومازال يرفع شعارات المدنيّة والحداثة ، ويعمل على تصدير تجاربه وأنماطه في

(١) محمود محمد عمارة ، أولادنا ، ص ١٩١ .

التربيـة إلى العـالم . فقد نشرت صحيفة أخبار اليوم المصريّة تقريراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي في أمـريكا يـتحدّث عـن الأحـوال الاجـتماعية فيهـا فيقـول : ((زادت جرائم العنف في عام ١٩٨٠ بنسبة ١٢٪ عن العام الذي قبله وتضاعف بنسبة أربع مرات قياساً للسنوات العشر الخوالي .

ولقـد لقـي في العـام الماضـي ٢٣ ألـف شـخص مصـرعهم عـلى أيدي المجرمين من القتلة بالقياس إلى ٩٠٠٠ شخص منذ عشرين عاماً .

وفي عـام ١٩٨٠ أيضـاً تمّ اغتصاب ٨٣ ألف سيدة وفتاة ، وتعرّض أكثر من نصف مليون شخص لحوادث السطو المسلح)) [١].

فـإذا كـانت هـذه النّسـبة العاليـة مـن الجرائم والمجرمين في عدد من المجالات و الصّعد وعـلى الرغم مما تبذله أمريكا من أموال طائلة لمكافحة الجريمة ، فإنّ الجرائم في تزايد فلقد بلغت المبالغ السنوية ٢٦ ألف مليون دولار لمكافحة الجريمة والانحراف .

إنّ أمـريكا سـتصـرف المـزيد والمـزيد ، والجـريمة ستزيد وتزيد ما لم تسر طرق مكـــافحة الجـريمة على قدمي التّرغيب والتّرهيب ، فهناك صنف من البشر لا يرتدعوا بالترغيب فقط ، بل مـنهم مَـن يزداد غيّاً وطغياناً ، وهناك بكلّ تأكيد مَن تجدي معه أساليب التّرغيب والحوار والعفو والتّسـامح . من هنا جاء الإسلام ليعزز أساليبه الإلهيّة في مكافحة الجريمة المستندة على التّرغيب والـتّرهيب وذلـك عـلى أن يعمـل بكلّ أسلوب في مكانه وظرفه المناسب ، فقاعدة الثّواب والعقاب هي الّتي أرست قواعد الأمن الاجتماعي في حياة الأمّة الإسلامية على نحوٍ غير مسبوق .

و لذ لابدّ من بيان منهج التّربية الإسلامية في العقاب .

منهج الإسلام في العقوبة

لقـد سـلك المنهج الإسلاميّ سلوكاً وسطاً في هذه المسألة ، فلا إفراط ولا تفريط بل جاءت عقوبته على قدر الذّنب مفصّلاً على قدّه ، فقد شرع الإسلام أساليب عقابية متنوّعة منها الحسيّة

---

(١) محمود محمد عمارة ، أولادنا ص ١٩٢.

و منها المعنوية . ثم أساليب التّرغيب والتّرهيب . و في هذا يقول ابن القيم :((إنّ العقوبةَ الشّرعية شرعها الله تعالى على قدر مفسدة الذّنب و تقاضي الطبع لها ، وجعلها الله سبحانه ثلاثة أنواع : القتل ، القطع ، والجلد .

فجعل القتل بإزاء الكفر وما يليه من قتل النفس البريئة ، أو الزنا أو اللّواط لمن كان محصناً .

وجعل القطع بإزاء إفساد الأموال الّتي يمكن الاحتراز فيه ، فإنّ السّارق لا يمكن الاحتراز منه .

وجعل الجلد بإزاء إفساد العقول وتمزيق الأعراض بالقذف [١].

وعلى ذلك فإنّ هذه العقوبات الحديّة توفّر الأمنَ للإنسانيّة في مالها وعرضها وسمعتها وخُلِقها وكرامتها ، فهي الرّادعة لأولئك العصاة العتاة ، إنّها بمثابة الكيّ بالنّسبة لمريض تمكّن المرض فيه و أزمن في أطرافه)) .

و بعد أن يجمع المنهج الإسلامي بين أسلوبي التّرغيب والتّرهيب ، فإنّه يقدّم عنصر التّرغيب إظهاراً لرحمة الله تعالى بالعباد ، من هذا يتوجّب على المربّي المسلم أن يقدّم التّرغيب واللّين واليسر والعفو ، ففي حال نفع الأساليب اللّينة وجدواها يكون هو الأفضل وهو المطلوب .

وهذا ما أبرزه القرآن الكريم بقوله : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [٢]. وقوله: ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .[٣] وقوله أيضاً : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٤].

---

(١) ابن القيم، الجواب الكافي ، ص ١٣٢ .

(٢) سورة : الحجر ، الآية : ٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) سورة : الإسراء ، الآية : ٧ .

(٤) سورة : الزلزلة ، الآية : ٧ ـ ٨ .

إنّ الصبي إنسان يخطئ ويصيب . وينبغي أن يكون موقفنا في حالتي الخطأ والصواب محكوم بروح الإسلام كما وضّحها رسول الله ﷺ من خلال الواقعة التالية :

عن ابن عمر ﷺ قال : أتى النّبيّ ﷺ بسارق فقطعه . وكان غريباً لم يكن له أهل في المدينة ـ قطعه في شدّة البرد ـ فقام رجل يقال له فاتك فضرب عليه خيمة وأوقد له نويرة ، فخرج النبي ﷺ في بعض الّليل فأبصر النّار فقال: ((ما هذه النار ؟!)) فقيل : يا رسول الله المصاب الّذي قطعته كان غريباً آواه فاتك وضرب عليه خيمة وأوقد له نويرة ، فقال النبي ﷺ : ((اللّهم اغفر لفاتك كما آوى عبدك هذا المصاب)) [١].

فهذه الواقعة تكشف الرُّوح الإنسانيّة الّتي ينفّذ الإسلام إجراءاه العقابي في ضوئها مع التذكير بـ ((أنّ الأمر خطير بالنّسبة للصبي لأنّه يستهل حياته ، وعمره مازال محدوداً ، فإذا لم نحسن أخذه بالعدل والحكمة جنينا عليه ولم نعنه على أمر الله سبحانه ، مع ملاحظة أنّ خطأ الطّفل ليس خطأه وحده ولكنّه بلا ريب خطأ المجتمع قبله الّذي لم يحسن الرّعاية ، ولم يأخذ على يد المنحرفين تطهيراً للبيئة الّتي تترك طابعها في نفسيّة الطّفل)) [٢].

نماذج من عقوبات الصحابة وبعدها التربوي والنفسي

لقد رأى عمر ﷺ ابن الزّبير وعليه ثوب حرير فمزّقه عليه . فقال الزبير : أفزعت الصبيَ . فقال : لا تكسوهم الحرير [٣].

وكان عمر ﷺ يبذل جهوداً مشكورةً كي يتجانس الجزاء والعمل كي تنسجم الأساليب التّربوية الرّادعة . فها هو ((يأمر بشاهد زور ، فأركب دابةً مقلوباً . وأمر بتسويد وجهه فإنّه لما قلب الحديث قلب وجهه ، ولما سوّد وجهه بالكذب سود وجهه))[٤].

---

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ص ٣٤٨ .

(٢) محمود محمد عمارة ، أولادنا ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٦٣ .

(٤) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ص ٦٦ .

من أساليب علماء التربية الإسلامية في معالجة أخطاء الطفل

لقد رسم علماء التّربية الإسلاميّة منهاجاً متكاملاً يساعد على إنجاح التّربية حيث يقول الإمام الغزاليّ ﷺ: ((مهما ظهر من الصبيّ خلق جميل ، وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ، و يمدح بين أظهر الناس . فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرّة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره و لا يكاشف ، ولا يُظهر له أنّه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيّما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه ، فإنّ إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارةً حتّى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سرّاً ويعظّم الأمر فيه ويقال له : إيّاك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يُطّلعَ عليك في مثل هذا فتُفضَحَ بين الناس)) .

ويرى الغزاليُّ عدم الإكثار من معاتبة الطفل على أخطائه كي لا تقوى فيه روح الثورة والتمرّد لشدّة الضغط باللوم والعتاب فيقول : ((ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كلّ حين . فإنّه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه . و ليكن الأب حافظاً هيبةَ الكلام معه ، فلا يوبّخه إلا أحياناً . والأم تخوّف بالأب ، وتزجره عن القبائح)) [1].

التدرّج ومراعاة مقتضى الحال

إنّ التدرّج و مراعاة مقتضى الحال أسلوب تربوي إسلامي يمكن الاستفادة منه في تربية الطفل . فلو ارتكب الطّفل الخطأ يجب تقويمه بالكلمة المخوّفة من الله تعالى الذي يراه ويُذكّر فيه بآلام الحرق بالنّار ، مع التّأكيد على أنّ ثمّة فوارق واضحة بين طفل وآخر ، وهذه الفروق هي الّتي تساعد في تقدير الجرعة اللّازمة من الثواب والعقاب ـ الحسي والمعنوي ـ .

فهناك من الأطفال مَن لا يحيجك إلى معاقبته ، ومن الأطفال مَن يرى في إعراضك عنه عقوبة قاسية لا يتحمّلها وجدانُه أو مشاعره فلا تطل الإعراض عنه ، وقد يبكي طفل لأنّك عبسْتَ في وجهه فلا تتجاوز معه هذه الوسيلة الناجعة ، وهناك من الأطفال مَن لا يرتدع إلا بالعقوبة

---

(١) الغزالي ، الإحياء ، باب رياضة الصبيان .

الحسـيّة الموجعـة ، وأكـثر من مرة . فمثل هذا أنكتفي معه بالإعراض عنه لحظة أو نحتال عليه بالإغـراء لكـي يكـفّ عمـا هـو فيـه من أخطاء ؟ فإنّك بهذا تفسده تماماً ، كما تفسد الطّفل الآخر يـتوقيع العقوبـة الحسيّة عليه ، فوضع عقوبة مسبَقة بتحريم العقوبة الحسية ، أو تحريم العقوبة إطلاقـاً مفسـد في الـتّربية كوضع قاعدة مسبقة بضرورة استخدامها في كل حالة ولو لم تدعُ الضرورة إليها)) .

obeikandl.com

المبحث الخامس :

التوازن في حب الطفل

الطفل فلذة الكبد ، وثمرة القلب قال الشاعر :

إنمـــا أولادنـــا بينـــنا أكـــبادنا تمشـــي عـــلى الأرض

لوهبّـــت الرّيـــح على بعضهـــم لامتنعـــت عيـــني عن الغمض .

الشاعر هنا يتحدّث وفق نداء الفطرة الكامن في نفوس البشريّة ، ولكن هذا الحبّ الفطري للولد كثيراً ما يسبّب الضرر له من النّاحية العاطفيّة ، ويجلب له الفشل والضّعف في الحياة العملية . ولكي نضمن نجاح التّربية العاطفيّة على نحو متوازن لابدّ للمربّي أن يقوم بعمله التّربوي العاطفي النفسي وفق القواعد الثلاثية التالية :

١ ـ أن تلزم ولدك ونفسك شرع الله تعالى :

فمن مسلّمات العقيدة الإسلاميّة أنّ حبّ الله ورسوله ، والولاء لهما مقدّم على كلّ أنواع الحبّ ، وكل أنواع الولاءات . و الضّابط في هذا أن نقول : عندما يتعارض حبّ الولد مع حبّ الله ورسوله و أوامرهما و نواهيهما يقدّم حبّ الله ورسوله وأوامرهما و نواهيهما على رغباتنا وأهوائنا اتجاه أولادنا و ذلك لما قاله أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : « والّذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين » .[١] و كذا فإن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال : حدّثني أبي أنّه شهد حجّة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكّر ، و وعظ ، ثم قال : « ألا لا يجنيَ جانٍ إلا على نفسه لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده »[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه التّرمذي .

وتعثّر الحسن ﷺ والرسول ﷺ على منبره ، فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وفي تقديم سيّدنا إبراهيم عليه السلام لأمر الله بذبح ولده إسماعيل ، وفي امتثال الابن قدوة عظمى وأسوة كبرى لمن يعتبر وأراد أن يتمثل لأوامره الله سبحانه .

٢ـ أن تكون مضيافاً كريماً شجاعاً ، محباً للعلم :

فقد روي عن الأسود بن خلف قال : أخذ النّبيّ ﷺ حسناً فقبّله ، ثم قال : « إن الولد مبخلة ، مجبنة ، مجهلة محزنة » .(٢)

وروي عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها أنّ رسولَ الله ﷺ خرج محتضناً أحد ابني ابنته ، وهو يقول: « والله إنّكم لتبخلون وتجنبون وتجهلون ، وإنّكم لمن ريحان الله » (٣). قال الزمخشري : ((معناها أنّ الولد يوقع أباه في البخل إبقاءً على ماله له ، وفي الجهل شغلاً به عن طلب العلم ، وفي الجبن خوفاً من أن يقتل فيضيع ولده بعده ، وفي الحزن أنه يحزن لأمره وشأنه. وإنكم لمن ريحان الله : يعني أنهم يُشمّون ، ويُقبَّلون ، فهم من جملة الرياحين التي أنبتها الله)) (٤).

فما دام الولد مبخلة يدفع الأب نحو الشحّ وذلك من فرط الحب وشدّته ، فالبخل يعالج بدفع النفس نحو إكرام الضيف وبذل المال في المكرمات وفي وجوه الخير فقد ورد أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني جهود . فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والّذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . ثمّ أرسل إلى أخرى فقالت : مثل ذلك ، وقُلْن كلهنّ مثل ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن يضِفُه يرحمه الله » فقام أبو طلحة فقال : أنا يا رسول الله . فانطلق به إلى رحله

---

(١) أخرجه أصحاب السنن وقال الترمذي : حسن غريب . و الآية من سورة : التّغابن ، الآية : ١٥ .

(٢) رواه الحاكم و هو صحيح . صحيح الجامع ، رقم ١٩٠ .

(٣) أخرجه أحمد و الترمذي .

(٤) الزمخشري ، الفائق ، ص ١٨٥ .

فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبياني قال : فعلّليهم بشيء ونوِّميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنّا نأكل فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه . ففعلت فقعدوا فأكل الضيف وباتا طاويين ، فلمّا أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال سيدنا رسول الله ﷺ : ((لقد عجب الله ـ أو ضحك الله ـ من فلان وفلانة)) .

فأنزل الله عزّ وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] وفي رواية أخرى : ((قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)) [٢].

ما أظنّ التّربية الغربيّة بالغةً هذا المبلغ من حسن التّخطيط وجمال التّدبير لغاية إكرام الضيف في ظرف صعب قاسٍ مثل هذا .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : أمرنا رسول الله يوماً أن نتصدّق فوافق ذلك مالاً عندي فقلْتُ اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتَه يوماً فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ((ما أبقيت لأهلك ؟)) فقلت أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلْتُ : لا أسابقُك إلى شيء أبداً [٣].

٣ ـ الصبر على مرض ووفاة الطفل :

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة)) [٤]. و كذا قال ﷺ : ((ما يزال المؤمن يصاب في ولده و حامّته ـ خاصّته وقرابته ـ حتى يلقى الله وليست له خطيئة)) [٥].

وورد عن محمد بن خالد السّلمي عن أبيه عن جدّه ـ وكانت له صحبة ـ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ((إنّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة ، فلم يبلغها ، ابتلاه الله تعالى في

---

(١) سورة : الحشر ، الآية : ٩ .

(٢) أخرجه البخاري .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك .

(٤) أخرجه الترمذي .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ .

جســـده ، أو في ماله ، أو في ولده)) زاد في رواية : ((ثمّ صبّره على ذلك ، حتى يبلغه المنزلة الّتي سبقت له من الله عز وجل)) [١].

٤ ـ الأجر العظيم لمن صبر على وفاة طفله :

إن فقدان الولد مجلبة للأحزان على الوالدين لأنهما فقدا ثمرة قلبيهما وفلذة كبديهما . لذا فقد ضمن الله تعالى الأجر للصّابرين على فقدان ولدهما فقد روي عن أبي موسى ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال : ((إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤادِه ؟ فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ـ أي قال : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ـ فيقول تعالى : ((ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة و سموه بيت الحمد)) [٢].

و كذا فإن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه فجعلت عينا النّبيّ ﷺ تذرفان ، فقال عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال ((يا ابن عوف : إنّها رحمة)) ثم أتبعها أخرى فقال : ((إنّ العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، و إنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)) [٣].

قال ابن حجر معلّقاً على الحديث : ((قال ابنُ البطّال وغيره : هذا الحديث يفسّر البكاء المباح ، والحزن الجائز ، وهو ما كان بدمع العين ورقّة القلب من غير سخط لأمر الله. وهو أبينُ شيء وقع في هذا المعنى . وفيه مشروعية تقبيل الولد و شمّة ، ومشروعية الرضاع وعيادة الصغير ، والحضور عند المتحضر ، ورحمة العيال ، وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى .

وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك ، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود و الترمذي .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم .

ولده مع أنّه في تلك الحالة لم يكن ممّن يفهم الخطاب لوجهين ، أحدهما صغره ، والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين ، إشارة إلى أنّ ذلك لم يدخل في نهيه السّابق .

و كذا ورد عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنّة بفضل رحمته إياهم » [١].

و قال أبو هريرة ﷺ : أتت امرأة النّبيَّ ﷺ بصبيٍّ لها فقالت : يا رسول الله أُدعُ الله له فقد دفنت ثلاثة . فقال : « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » [٢].

و قال الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال : يقرأ على الطّفل فاتحة الكتاب ، ويقال اللّهم اجعله سلفاً ، وفرطاً ، وذخراً ، وأجراً » [٣].

وروي عن عبد الملك بن عمير وعاصم بن بهدلة أنّ النّبيّ ﷺ قال :« وإنّ أطفال المسلمين يقال لهم يوم القيامة : أُدخلوا الجنّة . فيتعلّقون بأحقاء أبائهم وأمّهاتهم فيقولون : ربّنا آبائنا وأمّهاتنا . فيقال لهم : أُدخلوا الجنّة أنتم و أباؤكم وأمّهاتكم ، قال : ثم يجيء السِّقط ، فيقال له : أُدخل الجنة ، فيظل متقعساً فيقول : أي ربِّ أبي وأمي حتّى يلحقَ به أبوه وأمه » [٤].

وما من شكّ أنّ الزّوجة المؤمنة الصّالحة تؤثّر تأثيراً كبيراً في تصبير زوجها ، وتنتصر على عاطفة الأمومة في مقابل إدخال السرور على قلب زوجها .

مثال من حياة الصحابيات المصبّرات لأزواجهن على فقد الولد

فقد قال أنس ﷺ : مات ابنٌ لأبي طلحة ـ وأبو طلحة خارج ـ فلمّا رأت امرأته أنّه قد مات هيأت شيئاً ، ونحّته في جانب البيت . فلمّا جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح . فبات ، فلمّا أصبح اغتسل ، فلمّا أراد أن يخرج

---

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري .

(٤) عبد الرزاق في مصنفه ، ٦ / ١٦٠ .

أعلمته أنّه قد مات فصلّى مع النّبيّ ﷺ ثم أخبره بما كان منهما فقال له رسول الله ﷺ : « لعلّ الله تعالى أن يبارك لكما في ليلتكما » . قال رجل من الأنصار : فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن [1]

وأخرج أحمد الرّواية بتفصيلات لطيفه فعن أنس ﷺ أنّ أبا طلحة مات له ابنٌ ، فقالت أم سليم : لا تخبروا أبا طلحة حتّى أكون أنا الّذي أخبره . فسجّت عليه . فلمّا جاء أبو طلحة وضعت بين يديه طعاماً فأكل ، ثم تطيّبت له ، فأصاب منها ، فعلقت بغلام ، فقالت : يا أبا طلحة إنّ آل فلان استعاروا من آل فلان عاريّة ، فبعثوا إليهم : ابعثوا إلينا عاريّتنا . فأبوا أن يردّوها . فقال أبو طلحة : ليس لهم ذلك ، إنّ العاريّة مؤدّاة إلى أهلها . قالت : فإنّ ابنك كان عاريّة من الله عز وجل ، وإنّ الله عزّ وجل قد قبضه . فاسترجع ـ أي أبو طلحة ـ : إنّا لله و إنّا إليه راجعون . قال أنس : فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : بارك الله لهما في ليلتهما . قال فعلقت بغلام .

وبهذا نرى أنّ الولد الصّالح خير كلُّه ، فإن عاش حياتَه الدّنيا يرفع درجات والديه باستغفاره لهما والدعاء لهما . وإن مات قبلهما فصبرا كان سبباً في دخولهما الجنّة .

---

(١) أخرجه البخاري .